بالقول وحثهم بامره يعملون وقال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلو صدر المعصية عن الرسول
لامتنع كونه افضل من الملك لقوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار الرابع عشر روي ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات افلا
اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة
على الانبياء لما جازت تلك الشهادة الخامس عشر قال في حق ابراهيم صلوات الله عليه اني جاعلك للناس اماما والامام
من يؤتم به فاوجب على كل الناس ان يأتموا به فلو صدر الذنب عنه لوجب عليهم ان يأتموا به في ذلك الذنب وذلك يفضي
الى التناقض السادس عشر قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين والمراد بهذا العهد اما عهد النبوة او عهد الامامة
فان كان المراد عهد النبوة وجب ان لا تثبت النبوة البتة للظالمين وان كان المراد عهد الامامة وجب ان لا تثبت
الامامة للظالمين وان لم تثبت الامامة للظالمين لان كل نبي لا بد ان يكون اماما يؤتم به ويقتدى به فالآية على جميع
التقديرات تدل على ان النبي لا يكون مذنبا اما المخالف فقد تمسك في كل واحد من المواضع الاربعة التي ذكرناها
بايات ونحن نشير الى معاقدها ونحيل الاستقصاء على ما سيأتي في هذا التفسير واما الايات التي تمسكوا بها في
باب الاعتقاد فثلاثة اولها تمسكوا بالطعن في اعتقاد آدم عليه السلام بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها الى آخر الاية قالوا الاشك ان النفس الواحدة هي آدم وزوجها المخلوق منها هي حوا
فهذه الكنايات باسرها عائدة اليهما فقوله جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون يقتضي صدور الشرك
عنهما واجوا بـ لا سلم ان النفس الواحدة هي آدم وليس في الاية ما يدل عليه بل يقول الخطاب
لقريش وهم الذين قصي والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي والضمير
في يشركون لهما ولاعقابهما فهذا الجواب هو المعتمد وثانيها قالوا ان ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن عالما
بالله ولا باليوم الاخر اما الاول فلانه قال في الكوكب هذا ربي واما الثاني فلقوله تعالى ارني كيف تحيي الموتى
قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي والجواب اما قوله هذا ربي فهو استفهام على سبيل الانكار
واما قوله ليطمئن قلبي فالمراد انه ليس الخبر كالمعاينة وثالثها تمسكوا بقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقالت الاية على ان محمدا
صلى الله عليه وسلم كان في شك مما اوحي اليه والجواب ان الغلب في دار الدنيا لا ينفك عن الافكار
المستعقبة للشبهات الا انه صلى الله عليه وسلم كان يزيلها بالدلايل واما الايات التي تمسكوا بها في باب التبليغ
فثلاثة احدها قوله تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرساها فلا شيء الا ما شاء الله فهذا الاستثناء يدل على وقوع النسيان في الوحي والجواب
ليس النهي عن النسيان الذي هو ضد الذكر لان ذاك غير داخل في الوسع بل عن الترك فيحمل على ترك
الاولى وثانيها قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته والكلام
عليه مذكور في سورة الحج على الاستقصاء وثالثها قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم قالوا فلو لم يكن
من وقوع التخليط في تبليغ الوحي من جهة الانبياء لكن في الاستظهار بالرصد المرسل معهم فايدة والجواب

لم لا يجوز ان يكون الفايدة ان يدفع ذلك الرصد الشياطين عن القاء الوسوسة اما الايات التي تمسكوا بها في
القسم الثالث ثلاثة احدها قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث وقد تكلمنا عليه في سورة الانبيا
وثانيها قوله تعالى في اساري بدر حين ناولهم النبي صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
فلو لا انه اخطا في هذه الحكومة والا لما عوتب وثالثها قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم والجواب
عن الكل انا نحمله على ترك الاولى اما الايات التي تمسكوا بها في الافعال فكثيرة اولها قصة ادم عليه السلام
وتمسكوا صاحب الكبيرة وانما قلنا انه كان عاصيا لقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وانما قلنا ان العاصي
لا بد ان يكون صاحب الكبيرة لوجهين الاول ان النص يقتضي كونه معاصيا لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم ولا معنى لصاحب الكبيرة الا ذلك الثاني ان العاصي اسم ذم فوجب ان لا يتناول الا صاحب
الكبيرة الوجه الثاني في التمسك بقصة ادم على انه كان غاويا لقوله فغوى والغي ضد الرشد لقوله تعالى قد تبين
الرشد من الغي فجعل الغي مقابلا للرشد الوجه الثالث انه تاب والتايب مذنب لان التايب هو النادم
على فعل الذنب والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلا للذنب فان كذب في ذلك الاخبار فهو مذنب بالكذب
وان صدق فيه فهو مطلوب الوجه الرابع انه ارتكب المنهي عنه في قوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة ولا تقربا
هذه الشجرة وارتكاب المنهي عنه عين الذنب الوجه الخامس سماه ظالما في قوله فتكونا من الظالمين وهو سمى
نفسه ظالما في قوله ربنا اننا ظلمنا انفسنا والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين ومن استحق
اللعن كان صاحب الكبيرة الوجه السادس انه اعترف بانه لو لا مغفرة الله اياه والا لكان خاسرا في قوله تعالى
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وذلك يقتضي كونه صاحب الكبيرة الوجه السابع انه اخرج من
الجنة بسبب وسوسة الشيطان وازاله حواء على ما اقدم عليه من طاعة الشيطان وذلك يدل على كونه صاحب
الكبيرة ثم قالوا هب ان كل واحد من هذه الوجوه لا يدل على كونه فاعلا للكبيرة لكن مجموع الاشياء قد يكون
قاطعا في الدلالة عليه ويجوز ان يكون كل واحد من الوجوه وان لم يدل على الشيء لكن مجموع تلك الوجوه يكون
دلالة على الشيء والجواب المعتمد من الوجوه السبعة عندنا ان نقول كلامكم انما يتم لو بينتم بالدليل
ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع فلم لا يجوز ان يقال ان ادم عليه السلام حال ما صدرت عنه هذه الزلة
ما كان نبيا ثم صار بعد ذلك نبيا ونحن قد بينا انه لا دليل على هذا المقام واما الاستقصاء في الجواب عن كل
واحد من الوجوه المفصلة فسيأتي ان شاء الله تعالى عند الكلام في تفسير كل واحدة من هذه الايات ولنذكر هاهنا
كيفية تلك الزلة ليظهر مراد الله تعالى من قوله فازلهما الشيطان فنقول لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن ادم
عليه السلام بعد النبوة فاقدامه على ذلك الفعل اما ان يكون حال كونه ذاكرا او ناسيا اما الاول وهو انه فعله
ناسيا وهو قول طايفة من المتكلمين واحتجوا عليه بقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ومثله بالصايم يشتغل
بامر يستغرقه ويغلب فيصير ساهيا عن الصوم وباكل في اثناء ذلك عن غير قصد لا يقال هذا باطل من وجهين
الاول قوله تعالى كما مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فقوله فعاتبهما انما كان من الناصحين يدل على انه عاصي
النهي حال الاقدام روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على ان ادم تعمد لانه قال لما اكلا منها فبدت لهما سوآتهما